بلا عدل كغيم بلا مطر وعالم بلا ورع كارض بلا نبات وشاب بلا توبة كشجرة بلا
ثمر وغني بلا سخاء كقفل بلا مفتاح وفقير بلا صبر كسراج بلا ضوء وامراة بلا حياء
كطعام بلا ملح وقال كسرى اتفقت ملوك العجم على اربع خصال.
ان الطعام لا يوكل الا على شهوة. والمراة لا تنظر الا الى زوجها والملك
لا يصلحه الا الطاعة. والرعية لا يصلحها الا العدل. واخو اناس باجبار
نفسه على العدل الملك لان عدل الملك يعدل من دونه لان الملوك اذا قالوا
فعلوا وكان نافذا غير مردود وقالت الحكماء ما شقيت بالانصاف وانا زعيم
لك بالجبن والظلم ادعى شيء الى تغيير نعمة وتعجيل بلية وقال الحكيم
شر الزاد للمعاد ذنب بعد ذنب وشر من هذا العدوان على العباد
بالسلطان ان اراد بعد الصيت وجميل الذكر فليقف صوف العدل وان احب
الزلفى عند الله تعالى وشرف المنزلة فليعدل وان احبهما جميعا فليعدل
الخصلة التي خلد بها ذكر الملوك على غابر الدهور والازمان عدل او في
جور بما فيه ما يوجب له الرحمة وما يوجب له اللعنة

فصل

واما القسم الثاني من العدل وهو السياسة الاصطلاحية وان كان
اصلها على الجور فيقومون بها امر التدبير وكانها تشاكل مراتب الانصاف — العرس
على نحو ما كانت عليه ملوك الطوائف في ايام الشرع وكانوا كفارا بالله
تعالى يعبدون النيران ويعبدون من اجل الشيطان فتواضعوا بينهم سننا واستنوا
لهم احكاما واقاموا لهم مراتب في النصفة بين الرعايا واستجلبوا بذلك الخراج
وتوضيعا العكوس على التجارات كل ذلك بعقولهم على وجه ما انزل الله بها سلطان
ولا نصب عليها برهان بيد ان اية لما جاءت الشريعة من عند الله تعالى على لسان رسوله
محمد صلى الله عليه وسلم فمنها ما اقرته في نصابه ومنها ما نسخته وابطلت حكمه
وعادت الحكمة البالغة الى امر الله سبحانه والحكم بما انزل الله وبطل ما سواه وكان
ملكهم عوضا برعايتهم القوانين المالوفة بينهم فانقطع بذلك حال
المهمل وكانوا يقيمون بها واجب الحقوق فيما لهم وعليهم ولهذا يقال ان السلطان
الكافر الجامع لشروط السياسات الاصطلاحية اقوى وابقى من السلطان المومن
العادل في نفسه المضيع لما يجب من السياسة النبوية والجور المرتب ابقى من العدل

المهمل

المهمل اذ لا شيء اصلح لامر السلطان من ترتيب الامور ولا شيء افسد له من اهمالها.
واعلم ان درهما يوخذ من الرعية على وجه الاهمال والجور وان كان عدلا افسد لقلوبها
من عشرة يوخذ منها بسياسة على زمان معروف ورسم مالوف وان كان جورا فلا يقوم
سلطان لاهل الايمان ولا لاهل الكفر الا باقامة العدل النبوي او ما يشبه العدل من المرتبة
الاصطلاحية قال ابن المقفع الملوك ثلاثة ملك دين وملك حزم وملك هوى فاما
ملك الدين فانه اذا اقام لاهل المملكة دينهم كانوا ادينين وكان الساخط منهم بمنزلة
الراضي واما ملك الحزم فيقوم به الامر لا يسلم من الطعن والتسخط ولن يضر طعن الذليل
مع حزم القوي واما ملك الهوى فلعب ساعة ودمار دهر. ولقد بلغنا
ان ملكا من ملوك الهند نزل به صمم فاصبح موجوعا مهموما باموره.
المظلومين وانه لا يسمع استغاثتهم فامر مناديه ان لا يلبس ثوبا احمر
الا مظلوم فيقف تحته في قصره فيكشف ظلامته واخبرنا ابو العباس الحجازي وكان
ممن دخل الصين سيرة عجيبة لملوكها في سياستهم وذلك ان
البيت الذي يكون فيه الملك فيه ناقوس موصل بسلسلة وطرف السلسلة
في خارج الحريم وعليها امناء السلطان وحفظته فياتي المظلوم ويحرك
السلسلة فيسمع الملك صوت الناقوس فيامر بادخال المظلوم وكل
من حرك السلسلة يمسكه اولئك الحفظة حتى يدخل على الملك

الباب الثاني عشر في بيان الخصال التي زعم الملوك انها من الحزم ولسن هي

ايها الملك احرص كل الحرص ان تكون خبيرا باحوال عمالك فان المسيء
يفرق من خبرتك به قبل ان تصيبه عقوبتك والمحسن يستبشر بمعرفتك
قبل ان ياتيه ثوابك قال ابو جعفر المنصور ما زال امر بني امية مستقيما
حتى افضى امرهم الى ابنائهم فكانت همتهم في غير شان الملك
وجلالة قدره وقصد الشهوات وايثار اللذات والدخول في معاصي
الله ومساخطه جهلا منهم باستدراج الله تعالى وامنا لمكره
فسلبهم الله العز ونقلهم عن النعمة قال عبيد الله بن مروان هو
المعروف بالحمار وهو اخر ملوك بني امية قتل في ارض مصر قال ان زال

٣٨